الرمزية الذكية واضحة تماما في اسلوب المؤلفة ، وهي تعبر — عبر وداد — عن العلاقة بينها وبين جاسر بك واخوته من الام الاخرى ، وعن الشك الذي سيطر على وداد منذ بداية هذه العلاقة . وقد يكون طرح امتثال جويدي لهذه العلاقة ، اول طرح جريء للعلاقة بين القضية الفلسطينية وبين الانظمة العربية . وتصور المؤلفة هذه العلاقة على انها « كلعبة قمار .. مع مقامر لا يجيد اللعب ولكنه يحبه » . واوضح جاسر بك ذلك في سره حين قال : « انا هو ذلك المقامر ، العب حبا بالربح وانتقاما من الخسارة . ولكنها هذه المرة لعبة مع مقامر ماهر .. شحذته مرارة الخسارات التي مني بها » . المقامر الماهر ، الذي « شحذته مرارة الخسارات » هو القضية الفلسطينية بعد ان تبنتها المقاومة ، وحمل ابناؤها السلاح وبدأوا حرب التحرير الشعبية . وتتوالى الصور الرمزية الذكية، الواحدة تلو الاخرى ، حتى تصبح عملية فك الرموز سهلة للغاية . فحين كان يلجأ جاسر بك الى البحر كلما ضاق به الحال طلبا للمساعدة ، كان يقول : « اريد المساعدة يا بحر ، اريد وداد ، اريد ان تنتصر قضيتها . انتصارها هو انتصار لكل ما قمت به من اعمال في شتى الميادين ، ولكل ما انبتت افكاري ومشاعري الوطنية من مبادىء جديدة .. الهمني ايها البحر العميق كنفسي ، الهمني المخرج المشرف » . لنحاول فك رموز هذا المقطع . انتصار وداد هو انتصار القضية ، وانتصار القضية هو انتصار لكل ما قام به جاسر بك من اعمال في شتى الميادين . اذن ، اليس هو الذي امم القناة وفي عهده قامت اول وحدة عربية بين دولتين عربيتين ، واجرى تحولات اشتراكية في نظام بلاده، ورفع عن كاهل العامل استغلال الاثرياء وعن ظهر الفلاح سوط الاقطاعي ، وبنى السد ، وزود جيش بلاده باحدث الاسلحة ، وقاد مؤتمرات الحياد وعدم الانحياز الدولية ؟.. هذه هي اعمال جاسر بك ، وهو يريد ان يتوج انجازاته هذه بانتصار القضية الفلسطينية . ومن اكثر الصور الرمزية ذكاء ، تلك التي شطحتها المؤلفة باسلوب ، هادىء وواضح الالوان ، حين عبرت عن موقف المقاومة الفلسطينية بعد قبول الرئيس الراحل عبد الناصر لمبادرة روجرز في صيف ١٩٧٠ . اذ جاءت وداد تخاطب جاسر بك بعد خلاف حاد نشب بينهما ، لانها لا تقدر ظروفه من جهة ، ولانها لا توافقه على مواقفه السياسية من جهة ثانية . لقد قالت وداد: « تريدون مني ان اصبح نظاما ، اتصرف وفق بروتوكولات معينة ، واسير على نمط دولي وعربي معين ... وإشياء كثيرة تجعلني ابدو وكانني بطلة لمسرحية من الدمى المتحركة » .

وتوفق المؤلفة في عرضها لمجزرة ايلول ١٩٧٠ في عمان وما تلا ذلك من مواقف سياسية عربية ، في صور رمزية ، اكثر وضوحا ، واشد ذكاء . ولنحاول مرة ثانية فك بعض رموز هذه الصور . حسن ، وهو اخ جاسر بك من ام اخرى ، يقتل اخوي وداد ، حين يأمر الملك حسين قوات البادية في شن هجمات وحشية على بيوت اللاجئين الفلسطينيين في المخيمات . ووداد تذهب الى منزل جاسر بك ، مثلما ذهب وفد المقاومة الى القاهرة بعد المجزرة . وبعد موت عبد الناصر ، استأسد اخوته على المقاومة ، ووضعوا وداد في قفص الاتهام ، لانها قتلت جاسر بك كما ادعوا . وفي المحكمة هتفت : « لا تطلبوا لي البراءة .. فانا يا سادة ، شجرة الصبير .. اشواكي تنطح عواصف الدنيا باسرها . كلما هبت علي عاصفة من الرياح ، رددتها بصلابتي ، فتخاذلت تلهث كما يلهث الاسد المهزوم » .

كلمة اخيرة لا بد من قولها . امتثال جويدي ، المؤلفة ، لا تدعي انها كاتبة رواية محترفة ، وهذا واضح من خلال سطور الرواية نفسها . وهي لا تدعي انها تدخل عالم الرواية ، لان روايتها خلت من فن الرواية المتكامل . ولذلك تأتي رواية « شجرة الصبير » ، كشريط اخباري ، مدعم بالصور ، يعرض الاحداث . ومما لا شك فيه ان الكاتبة استطاعت ان تستفيد من اوقات فراغها بشكل جيد ، وتقدم لنا — لاول مرة — رواية امرغت في سطورها — بشجاعة — قضية فلسطين من عثية النزوح الى عثية التصفية . والجديد في الرواية ، اسلوبها البسيط الذي يعتمد على الرمز . انها المرة الاولى التي تترجم بها القضية الفلسطينية السياسية الى رواية ، سجلت المؤلفة عبرها « مسيرة العذاب » الطويلة والدموية ، بالرغم من عدم مرافقة المؤلفة لهذه المسيرة .

مصطفى كركوتي